إشكالية دراسة الطبقات فى التراث البحثى(*)

إِشْرَاف

أحمد عبدالله زايد
أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب
جامعة القاهرة

محمد كمال التابعى
أستاذ علم الاجتماع المساعد
بكلية الآداب- جامعة القاهرة

نورا سعيد عبد الفتاح
مدرس مساعد بقسم علم الاجتماع
بكلية الآداب جامعة القاهرة

الملخص

يعتبر موضوع دراسة الطبقة الاجتماعية إحدى الموضوعات البحثية المهمة التى تثير جدلاً واسعًا؛ نظرًا للتداخل والخلط النظرى والمنهجى، الذى يعكس إشكاليات عديدة لدراستها وقياسها وتحديد حدودها، نتيجة التباينات والاختلافات الأيديولوجية والفكرية، باعتبار أنها تعكس طبيعة البنية الاجتماعية والتكوين الاجتماعى للمجتمع. وتشير دراسة الطبقة الاجتماعية إلى العديد من الإشكاليات؛ أهمها: صعوبة تحليل البناء الطبقى، والتركيب الطبقى لهذه المجتمعات؛ لذلك يناقش هذا المقال قضية الطبقة الاجتماعية كما تناولها التراث البحثى بمستوياته وتياراته النظرية.

(*) إشكالية دراسة الطبقات فى التراث البحثى ، المجلد التاسع ٢٠٢٠، الأعداد (٣١ ، ٣٢ ،٣٣ ، ٣٤).

الكلمات المفتاحية

الطبقة الاجتماعية، البنية الاجتماعية، التركيب الطبقى، المداخل النظرية للطبقة، إشكالية دراسة الطبقة.

.***Abstract:***

The study of the social class is considered one of the most important research topics, which is highly controversial due to the overlap and confusion of the theoretical and methodological, which reflects many problems to study, measure and determine its boundaries due to differences and ideological and intellectual differences. The study of social class refers to many problems, the most important of which are: the difficulty of analyzing the class structure and the class structure of these societies. Therefore, this article discusses the issue of the social class as well as the research heritage in its theoretical levels and streams.

Key words:

Social class, Social structure, Class composition, Theoretical approaches of the class, Problematic class study.

مقدمة:

تشير دراسة الطبقة الاجتماعية إلى العديد من الإشكاليات؛ أهمها : صعوبة تحليل البناء الطبقى، والتركيب الطبقى لهذه المجتمعات، ويعتقد البعض أيضًا لصعوبة تحديد نمط الإنتاج السائد الذى يعتبره البعض الخطوة الأساسية فى تحديد البناء الطبقى. ولقد حاول ماركس وانجلز ولينين ربط إشكاليات الطبقات الاجتماعية بوجودها فى التكوينات الرأسمالية المحددة تاريخيًّا، وعلاقتها بالوضع السياسى السائد، فالطبقة عند ماركس هى انعكاس ونتاج للأبنية الاجتماعية وعلاقتها.

وسوف يناقش المقال قضية الطبقة الاجتماعية كما تناولها التراث البحثى بمستوياته وتياراته النظرية المختلفة من خلال تسليط الضوء على أهم الدراسات المحلية والعالمية، ويتضح من خلال مراجعة الأدبيات. تنوع الدراسات التى تناولت الطبقة الوسطى من حيث توجهاتها النظرية أو الإمبيريقية، بالإضافة إلى إدراك توجهاتها السياسية والاقتصادية ودورها فى التنمية والسلطة، كما اختلفت هذه الدراسات فى

توصيف الخلفية والواقع الاجتماعى لهذه الطبقة.

لذلك سوف تبدأ الباحثة عند الحديث عن كل اتجاه بتقديم تصور عام لطبيعة كل اتجاه، وأهم رواد هذا الاتجاه، والكيفية التى تناول بها كل اتجاه دراسة الطبقة، بجانب تحديد أهم القضايا الأساسية التى يرتكز عليها كل اتجاه، ومحاولة ختم كل اتجاه بالأسلوب النقدى للاتجاه مع الإشارة إلى أهم الدراسات التى اعتمدت عليه وأفادت منه، وذلك أيضًا وفقًا لمنهجين؛ هما: المنهج التاريخى والمنهج النقدى. **ومن ثم يحتوى هذا المقال على العناصر الآتية:**

أولاً: تعدد المداخل النظرية لدراسة الطبقة:

١-١: الاتجاهات الكلاسيكية لدراسة الطبقة: (الماركسى-الفيبرى- الوظيفى).

١-٢: الاتجاهات النظرية المحدثة حول دراسة الطبقة:(الماركسية المحدثة-النيوفيبرية- النيودوركايمية).

١-٣: الاتجاهات النظرية المستحدثة لدراسة الطبقة: (بييربورديو- أريك أولن رايت- مدخل الجماعات الإستراتيجية- مفهوم الريع- مابعد الطبقية).

ثانيًا: الخاتمة:

أولاً: تعدد المداخل النظرية لدراسة الطبقة:

ثمة ثلاث مقاربات أساسية تعطي لعلم الاجتماع مشروعيته فى دراسة الطبقة: الأول: الماركسى، الثانى: الوظيفى، والثالث: الفيبرى. ومن الملاحظ أنه مع التغيرات التى طَرَأَتْ على البناء النظرى لعلم الاجتماع، وما استتبعه من ظهور اتجاهات نظرية جديدة مثل: الماركسية المحدثة، والنيوفيبرية، والتحليل الطبقى الحديث المرتكز على أفكار دوركايم؛ لذلك سيتعرض هذا المقال إلى إحدى إشكاليات دراسة الطبقة المتمثلة فى تعدد المداخل النظرية، ومن هنا سيتضمن فى البداية الاتجاهات الكلاسيكية حول دراسة الطبقة، يليها عرض لبعض الآراء والأفكار الجديدة للماركسية الجديدة والنيوفيبرية، والنيودوركايمية. وأخيرًا: الاتجاهات والمداخل المستحدثة لدراسة الطبقة؛ مثل: الأفكار المرتكزة على بيير بورديو، ومدخل الحدود الطبقية، ومدخل الجماعات الاستراتيجية، مرورًا بمفهوم الريع كأحد المرتكزات للتحليل الطبقى، وأخيرًا: ما بعد الطبقية؛ والهدف من ذلك: التعرف على مكانة كل اتجاه نظرى ومدى ملاءمته لدراسة الواقع، وتقييم نقدى

لهذه المداخل، وذلك لاستخلاص الأفكار الرئيسة التى عرضت فى ثنايا المقال، ثم مناقشة أوجه الاتفاق والاختلاف.

١-١: الاتجاهات الكلاسيكية لدراسة الطبقة: (الماركسى-الفيبرى-الوظيفى)

فى صدر هذا المقال، يجدر بنا أن نشير إلى مفهوم الطبقة بشكل عام، ومفهوم الطبقة الوسطى بوجه خاص الذى يعد مألوفًا فى العلوم الاجتماعية، وبخاصة فى كتابات ماركس سواء كتابات ماركس الشاب أو كتاباته الأخيرة، التى يكتنفها الكثير من الغموض والتى تدور أساسًا حول النظرية السياسية، وكانت تدور حول النظرية الماركسية بعد ذلك، ووفق ما سبق يمكن القول: إن مفهومى الطبقة الاجتماعية والطبقة الوسطى، لا تبدو مصطلحات جديدة، بل تعود جذورهما الأولى إلى **كارل ماركس وماكس فيبر**.

ومن هنا يكشف التراث العلمى لعلم الاجتماع عن تيارين يؤثران على علم اجتماع التدرج الطبقى، وهما: التيار الماركسى وهو ما أطلق عليه الاتجاهات النظرية الكلاسيكية، ويأتى أيضًا فى هذا الإطار أفكار الماركسيين الكلاسيكيين إنجلز، ولينين، وخاصة جرامشى الذى يتجلى فى مؤلفاته النزعة التاريخية، والتيار الفيبرى، هذا بالإضافة إلى الاتجاه الوظيفى. ومع ذلك يميل كثير من الدارسين لهذا الموضوع أن يؤكدوا على أن سوسيولوجية الطبقة ترجع من حيث النظرية والمنهج والتحليل إلى المحاولات الماركسية فى نقد الرأسمالية والمجتمع الرأسمالى. وقد تم إعادة طرح هذا المفهوم على أسس جديدة فى أواخر الستينيات على نحو مختلف عن المنظور الكلاسيكى أو التقليدى؛ مما ترتب عليه العديد من التغيرات فى التوجهات النظرية، وخاصة مع التحديثات والانتقادات لمفهوم المادية التاريخية وتراجع التركيز على هذا المفهوم الذى يعتبر أساس التحليل الطبقى [**لمزيد من التفاصيل انظر: (غريب سيد أحمد، ١٩٩٥: ٣)، (** Reinhard, Kreckel,1990: 1-20)].

أ-الاتجاه الماركسى لدراسة الطبقة: (١٨١٨-١٨٨٣)

أكدت أغلب الدراسات التى انطلقت من الماركسية أن الطبقة الاجتماعية فى السياق الماركسى مفهوم سوسيولوجي، ويعتبر أحد المفاهيم الأساسية فى دراسة الصراع الطبقى، لقد جعل ماركس من الطبقة الاجتماعية مدخلاً أساسيًّا لتحليل المجتمع،

والقارئ للماركسية يجد أنها ترتكز على فكرة الدمج بين ثلاثة روافد أساسية؛ وهى: الفلسفة الألمانية عند هيجل، والاقتصاد السياسى الإنجليزى، والاشتراكية الفرنسية.

وسيكون من المفيد الإشارة بوضوح إلى أثر هذه الروافد، حيث مثلت الفلسفة الألمانية عند هيجل تعبير نظري عن الإرهاصات الاجتماعية والسياسية التي كانت تعمل داخل الأمة الألمانية في مرحلة التطور والنهوض نحو الرأسمالية، بينما اشتهر الفكر الإنجليزي في الجانب الاقتصادي كتعبير عن تطلعات البرجوازية الانجليزية ونظرتها للحياة الاقتصادية وكان أكبر اقتصادي مشهور في انجلترا آدم سميث المشهور بكتابة ثروة الأمم، وقد ترافق نشوء وتطور علم الاقتصاد مع نشوء وتطور الثورة الصناعية في انجلترا وتطور الاقتصاد السياسى البرجوازي، أما الفرنسيون فقد برزوا في طرح الأفكار الاشتراكية نتيجة الثورات الاجتماعية التي عاشتها فرنسا ابتداء من الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٩٨ وكان من بين الاشتراكيين الفرنسيين المشاهير سان سيمون وفورييه. *"جمعت الماركسية هذه المعطيات الثلاثة وصهرتها في بوتقة واحده بعد نقدها وتعريتها من الشوائب المثالية ودمجتها في وحده فكرية متكاملة ولهذا سميت الماركسية بالاشتراكية العلمية"* **[لمزيد من التفاصيل انظر:(عواد أحمد صالح، (٤/ ٧/ ٢٠٠٥)، (http://www.ahewar.org)].**

وينظر ماركس للأفراد لا بوصفهم منفردين، ولكن بوصفهم أفرادًا فى طبقات، ومعنى ذلك أن الطبقة عبارة عن مجموعات كبيرة العدد من الناس تختلف كل منها عن الأخرى حسب الموقع، الذى تحتله فى نظام الإنتاج وامتلاك إحدى هذه المجموعات لوسائل الإنتاج يحدد طبيعة ومكان هذه المجموعة بالنسبة للمجموعة الأخرى فى التنظيم الاجتماعى للعمل. يتضح أن رؤية ماركس Marx للطبقة مستمدة من تصوره المادى للمجتمع فى مراحله التاريخية، وأن المجتمع عند ماركس يتكون من طبقتين هما: الطبقة الحاكمة وطبقة البروليتاريا، ويميز بين الطبقات على أساس اقتصادى يرتبط بنمط الإنتاج السائد.

ولعل الخاصية الأكثر تميزًا للمفهوم الماركسي للطبقة هي **العلاقة بين "الطبقة والاستغلال"**، كما يرتبط المفهوم الماركسي للاستغلال ارتباطًا وثيقًا بنظرية قيمة العمل، ومن الملاحظ في السنوات الأخيرة، تعرض نظرية قيمة العمل لهجوم كبير، وقد دعت

هذه الهجمات إلى التشكيك في مفهوم الاستغلال، ومن الضرورى الإشارة بإيجاز أن (the labor theory of value) باعتبارها الطريقة الأصلية التي تم بها تحليل الاستغلال في المجتمعات الرأسمالية بواسطة أفكار ماركس، وسنبحث عن بديل معاصر لهذا المفهوم؛ حيث يعتبر من أهم محاولات إعادة التفكير فى مفهوم الاستغلال وتأثيراته على النظرية الطبقية التى قام بها الاقتصادى الماركسى **جون رومير (Roemer)**، والذى سيتم الإشارة له بإيجاز فى موضع آخر.

حيث يقول ماركس فى هذا السياق: "*إن العمل فى المجتمع الرأسمالى أصبح كأية سلعة أخرى، ولكن يتميز العمل الإنسانى بأنه هو وحده القادر على إنتاج القيمة الجديدة، لا تستطيع المواد الخام (السلع) مثل: الخشب والحديد والقطن وحدها إنتاج القيمة، ولكن تضاف القيمة عندما يتم العمل بها من خلال العمال لإنتاج سلع جديدة يمكن بيعها فى الأسواق، ويقضى العمال الذين يبيعون عملهم للرأسماليين وبالتالى يصبح ملكهم، جزءًا من يوم العمل، حسب إنتاج القيمة المعادلة لثمن عملهم أى : الأجر، بينما يقضون بقية النهار فى إنتاج القيمة المضافة التى يحتفظ بها الرأسماليون*" **[(روزمارى كرومبتون،٢٠١٦ :٥٠)].**

كما حاول التمييز بين مفهومي الطبقة فى ذاتها والطبقة فى حد ذاتها فى كتابه: "**بؤس الفلسفة**" عام ١٨٤٨. ووجدت الباحثة أن تحليل ماركس خلال هذا الكتاب لعلاقات الإنتاج ونمط الإنتاج عملية نظرية لبناء مفهوم الطبقة. كما حاول أن يحدد فى دراسته المعنونة بـ"**الثامن عشر من برومير لويس بونابرت**"عن انقلاب بونابرت العسكرى عام ١٨٥٢، عددًا من الفئات الاجتماعية تتضمن الأرستقراطية التى تمتلك الأراضى والممولين، والبورجوازية الصناعية، والطبقة الوُسْطى، والبورجوازية الصغيرة، والبروليتاريا الصناعية، والبروليتاريا الرثة والفلاحين.

وتعتبر أهم إسهامات النظرية الماركسية فى دراسة الطبقة بأنها تربط بين تفاعل الأفراد مع موقعهم الواقعى فى عملية الإنتاج من ناحية، وبين تصوراتهم التى يكونونها عن موقعهم وعن اتجاهات الحركة الاجتماعية والسياسية المتاحة لهم من ناحية أخرى. وتتلخص أهم تصورات هذه النظرية حول الطبقات والصراع الطبقى بأن مفهوم الطبقة عند ماركس يعتبر أحد المفاهيم المحورية فى دراسة الصراع الطبقى، ووحدة أساسية

للتحليل والوصف، كما تعتبر أحد الأبعاد الأساسية للمجتمعات الإنسانية **[(مؤمن كمال الشافعى،١٩٩٦: ١٤٣-١٤٥)]**.

واستنادًا إلى ذلك يمكن استخلاص بعض الملاحظات المتعلقة بتكوين الطبقات الاجتماعية: إن تكوين الطبقات لا يرجع إلى المستوى الاقتصادى وحده فهو انعكاس لمستويات أسلوب الإنتاج أو التكوين الاجتماعى فى مجموعها، بالإضافة إلى أن الممارسات الطبقية الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية والصراع بين ممارسات الطبقات المختلفة هو تعبير عن المستويات الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية فى مجال العلاقات الاجتماعية **[(نيكوس بولانتزاس،١٩٨٣: ٧٠-٧٦)]**.

ومن هنا استخدم **كارل ماركس وفريدرك إنجلز (١٨٢٠-١٨٩٥)** مفهوم الطبقة الاجتماعية كأداة تحليلية فى فهم آليات التغيير. وقد ركز كل منهما على طبقتين؛ هما: الطبقة العاملة التى تملك قوة العمل وتضطر إلى بيعها لرأس المال، والطبقة البورجوازية المالكة لرأس المال. لقد وضع كل من كارل **ماركس وإنجلز** نظرية مادية جديدة للتاريخ والمجتمع، أدخلا من خلالها مفاهيم نمط الإنتاج وقوى وعلاقات الإنتاج وتقسيم العمل والأيديولوجيا والطبقة والصراع الطبقى. وقد ركز ماركس على الصراع بين البرجوازية والبروليتاريا فى المجتمع الرأسمالى، ووجد أن طبقة البرجوازية أكثر قوة وذلك لأنها تحوز الملكية والثروة، كما أنها أنتجت مفهومًا للتاريخ كسلسلة من أنماط الإنتاج رسميًّا لظهور المجتمع البورجوازى الحديث وانتقاله المستقبلى إلى المجتمع الشيوعى.

وتم تقديم الرؤية الماركسية للمجتمع والتاريخ فى شكل سردى درامى فى **البيان الشيوعى** عام ١٨٤٨(Communist Manifesto)، يصف **كل من ماركس وإنجلز** مسار التاريخ الإنسانى بوصفه صراعًا بين الطبقات، يرسم صعود الرأسمالية والمجتمع البورجوازى وإطاحتها الثورية، وفيه يحدد كلا منهما دور الطبقة الوسطى، ويتضح: إن مفهوم الطبقة الاجتماعية قد تطور خلال كتاباتهما التى أكدت بأن الطبقة لا تتشكل بصورة نهائية إلا بظهور التضامن الطبقى ووحدة الدور فى الإنتاج والمصالح الاقتصادية المشتركة والوعى الطبقى.

أما فى مؤلفات ماركس وتحديدًا نقد فلسفة الدولة عند هيجل، والأيديولوجية الألمانية، يغلب عليها التحليل الاقتصادى، كما ظهر الصراع بين البورجوازية والبروليتاريا

بوضوح فى كتابه المعنون بـــ(رأس المال)، ووفقًا لهذا التصور فإن المتغير الأساسى عند ماركس لتحديد الطبقة هو الملكية، وأساسًا للتمايز الطبقى، أما المتغير الوسيط فهو تقسيم العمل، ويتم تشكلها من خلال مفهومى الوعى الذاتى والأيديولوجيا الطبقية. وفى ضوء ذلك ليس وعى الناس هو الذى يحدد وجودهم؛ بل على العكس من ذلك الوجود الاجتماعى هو الذى يحدد وعيهم، ويتضح من ذلك: أن الطبقة من وجهة نظر ماركس تحددها ملكية أو عدم ملكية وسائل الإنتاج، ومن هنا فإن وعى الطبقة لذاتها يجعلها مهيأة للتفاعل مع الظروف المجتمعية.

أما فيما يتعلق بتحديد ماركس للطبقة الوُسْطى، فقد حاول صياغة مفهوم الطبقة الوُسْطى الحديثة للإشارة إلى الموظفين المكتبيين، علاوة على ذلك نظر ماركس إلى أفراد الطبقة الوُسْطى كأفراد لا يقيمون فى مجال علاقات الإنتاج، وإنما فى مجال علاقات التوزيع، ووفقًا لهذا رأى ماركس أن الجماعات الوُسْطى تمثل الطبقة الانتقالية Transational class التى تتقاذفها الآمال فى الانضمام إلى مصاف الطبقة الغنية، ويتضح مما سبق: تأكيد الأدبيات المختلفة على أنه لم تعد التعريفات الماركسية للطبقة البورجوازية منطبقة على الواقع.

وفى الإطار نفسه أضاف **لينين** Lenin خلال كتاباته تعريفًا آخر لا يختلف كثيرًا عن التعريف الذى حدده ماركس من خلال التأكيد على فكرتين أساسيتين ألا وهما: المادية التاريخية، واستغلال طبقة لأخرى. لكن لا بد أن يقترن هذا التصور بفكرة أساسية وهي: المركز الاجتماعى أو الوضع الاجتماعى. حيث أكد لينين فى كتابه المعنون بـــ **(الدولة والثورة)** على ارتباط الطبقة بالنمط التاريخى للإنتاج وبتقسيم العمل. لذلك أكد على ضرورة التمييز بين القوى الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية من ناحية والفوارق الاجتماعية على أساس الملكية لوسائل الإنتاج من ناحية أخرى.

فقد أولى **لينين** قضية الطبقة الاجتماعية اهتمامًا كبيرًا؛ فذهب إلى أنها مجموعات كبيرة من الناس تختلف عن بعضها فى المركز الذى تشغله فى نظام تاريخى محدد للإنتاج الاجتماعى، وفى علاقاتهم مع وسائل الإنتاج، وفى دورهم فى التنظيم الاجتماعى للعمل، ومن ثم فى القدرة والطريقة التى تستحوذ بها على نصيبها من الثروة الاجتماعية، فالطبقات هى مجموعات من الناس تستطيع إحداهما أن تستحوذ على الأخرى نتيجة اختلاف المراكز

التى تحتلها فى نظام محدد للإنتاج الاجتماعى.

وتليها أفكار **جرامشى** الذى انضم إلى الحزب الاشتراكى الإيطالى عام ١٩١٣، وتحدث عن مفهوم الطبقة الاجتماعية وحاول أن يقسمها إلى طبقة حاكمة وأخرى تابعة، وذلك خلال كتابه المعنون بـ **(كراسات السجن)**، عندما أشار إلى فكرة حرب المناورات أو حرب المواقف، وذلك حينما أثار فكرة أشكال التمرد على الدولة، وكيفية محافظة الطبقة الحاكمة على تفوقها على الطبقة التابعة باستخدامها القوة؛ حيث رفضت الطبقة التابعة بأن تقودهم الطبقة البرجوازية، وذلك ما أكده أيضًا **لينين** خلال كتابه: (**الدولة والثورة**). أما فيما يتعلق بالطبقة الوُسْطى فى كتابات **جرامشى** الذى لم يتحدث فى كتاباته عن الطبقة الوُسْطى ذاتها، وإنما أشار إلى المجتمع المدنى الذى تنمو داخله التكوينات الأولية والأساسية للطبقة الوُسْطى، حيث يرى **جرامشى** أن المجتمع المدنى ينتمى إلى البنية الفوقية، ويقابله الدولة، حيث يحدد المجتمع المدنى بالمنظمات والعلاقات المهنية التى تتمثل فى النقابات والأحزاب، وأطلق عليها الإنتلجنسيا وهى فئة عريضة من المتعلمين الذين يمارسون وظائف تقنية سواء كانوا مهندسين أو أطباء أو محامين أو موظفين عن الدولة؛ حيث حاول أن يربط ظهور هذه الطبقة بنشأة البرجوازية **[(إريك دافيس،٢٠٠٨: ٤٩)- (Kellner,Douglas,2005:1-2)-(** Azad, Bahman, 2005:1)**].**

ويمكن إجمال أوجه الاتفاق بين كل من جرامشى ولينين فى: أن قيادة البروليتاريا للطبقات المضطهدة ظل أمرًا ضروريًّا لا يستهان به وذلك حتى قبل أو بعد الإطاحة بالبرجوازية. ومن أهم الدراسات التى تمثل هذا التيار الماركسى الكلاسيكى فى تناولها لدراسة البناء الطبقى دراسات كل من: (**جمال مجدى حسنين، وجمال حمدان، وعاصم الدسوقى، ورفعت السعيد**... وغيرهم). وعلى الرغم من كثرة الانتقادات التى يمكن توجيهها لأصحاب هذا الاتجاه، فإن أهم ما يؤخذ عليهم اصرارهم على دراسة البناء الطبقى للمجتمع المصرى، قياسًا على دراسة ماركس لهذا البناء فى المجتمع الأوروبى إبان انتقاله من الإقطاعية إلى الرأسمالية، وقياسًا كذلك على دراسة لينين فى روسيا إبان انتقالها من المرحلة الإقطاعية إلى الرأسمالية إلى الاشتراكية، كما يؤخذ عليهم أيضًا أنهم يصرون أثناء ذلك على استخدام وتوظيف المفهومات التى صاغها هذان المفكران والتى تعبر

بدورها عن خبرة تاريخية، مخالفة للخبرة التاريخية لمجتمعهم **[(محمود جاد، ١٩٩٣: ٥٤)].**

ب- الاتجاه الفيبرى:

ثم يأتى رافد آخر يتحدد فى اتجاه التدرج الاجتماعى عند **ماكس فيبر(١٨٦٤-١٩٣٠)** Max Weber ليحدد الطبقات الاجتماعية وفق فكرة أساسية تنهض على التدرج من الأعلى إلى الأدنى تبعًا لمكانتها، ليعرف الطبقة أنها جماعة من الأشخاص يشغلون المكانة الطبقية، وميز بين الطبقة المالكة والطبقة المكتسبة، حيث نجده يعرف الطبقة بأنها مجموعة من الناس لديها فرصة الحياة، وتمثل موقعًا أو مركزًا طبقيًّا واحدًا.

وفى هذا السياق ينهض هذا التصور الوظيفى على أفكار ماكس فيبر، واهتم فيبر بأفكار كارل ماركس، وانتقد المادية التاريخية انطلاقًا من فرضية أساسية وهى أن الطبقات لا تعتمد اعتمادًا خالصًا على عدم المساواة الاقتصادية، وذهب بأنها تعتمد على فوارق أخرى فى المكانة والنفوذ، فإن تحديد فيبر يقوم على أساس ما يوفره السوق من مصادر اكتساب المال. حيث استخدم بعض المعايير فى تحديد الطبقة الاجتماعية وهى: الموقع الاقتصادى الذى يتضمن الثروة والممتلكات والدخل والمهنة وفرص الحياة، والمكانة الاجتماعية، والحزب السياسى الذى يشير إلى القدرة فى ممارسة النفوذ لأعضاء الحزب.

وطبقًا لذلك تكون المواقف الطبقية متباينة أكثر، من ناحية حسب نوع الملكية التى يمكن استخدامها، ومن ناحية أخرى وفقًا لنوع الخدمات التى يمكن تقديمها فى السوق، أى: نوع الفرصة فى السوق التى تمثل شرطًا مشتركًا، إن العامل الذى يخلق الطبقة هو: الاهتمام الاقتصادى **[(Turner,Bryan.s,1981:180-190)].** ومن هنا يمكن تحديد معايير التصنيف الطبقى ألا وهما الدخل، التعليم، الملكية. ووجد أن فيبر لم يغفل دور العامل الاقتصادى، ولا الثروة كمحددات أساسية لتحديد الوضع الطبقى، هذا بالإضافة إلى متغير القيم، ارتباطًا بما سبق أصبح التدرج عند فيبر يقوم على مفهومين أساسين هما: المكانة والطبقة.

والمكانة الاجتماعية عند فيبر تشير إلى خاصية تتكون من التفاعل الاجتماعى، وتعبر عن مدى الهيبة أو الاحترام أو الشرف الذى يناله الفرد من الآخرين؛ أى: المكانة

تتحدد أساسًا من خلال إدراكات وتصورات الناس لبعضهم البعض، فضلاً عن ذلك أعطى فيبر مفهوم أسلوب الحياة دورًا فى تشكيل الموقف الطبقى؛ فالطبقة لا تتحدد فقط من خلال الملكية، ولكنها تتحدد أيضًا وبشكل متزايد من خلال أنماط الاستهلاك وأساليب الحياة. ويتضح من ذلك: إن فيبر حاول النظر إلى الطبقة الاجتماعية نظرة تاريخية دون أن يغفل السياق الثقافى، وبناءً على ذلك يمكن تقسيم الطبقات الاجتماعية إلى طبقة عليا تضم الأفراد المتميزين فى الإدارة والإنتاج، ثم الطبقة الوسطى التى تضم الموظفين والزراع والصناع. ثم الطبقة العاملة التى تنقسم إلى عمال ماهرين وعمال غير ماهرين، ويرى فيبر أن العامل المادى ليس الوحيد فى تحديد المكانة، بل إن هذه المكانة إنما تتحدد استنادًا إلى عوامل أخرى لها ذات الأهمية التى يحتلها العامل المادى وهى: العوامل الثقافية والدينية والسياسية، والصراع لا يقع بين الطبقات الاجتماعية بقدر ما يقع بين الأدوار المختلفة فى المركز والمكانة **[(هالة مصطفى، أكتوبر ٢٠٠٤: ٦٨)-(Gane,Nicholas,2005:212-215)]** .

أما فيما يتعلق بالطبقة الوُسْطى الجديدة، فقد أكد فيبر فى كتاباته على وجودها فى المجتمع الرأسمالى، حيث أشار إلى أوضاع هذه الطبقة وخصائصها، فأكد على قدرة أفراد هذه الطبقة فى الحصول على التعليم، استنادًا إلى إن التعليم هو العنصر الرئيس للمكانة، بالإضافة إلى عنصرين آخرين؛ هما: المهارة والتأهيل الذى يتم تقديمه فى السوق للموظفين والإداريين والمهنيين والفنيين أو ما يطلق عليهم: **ذوو الياقات البيضاء**، فهذه الطبقة تكتسب مكانة اجتماعية معينة تعكس خصائصها التعليمية والاقتصادية والثقافية والمهنية **[لمزيد من التفاصيل انظر:(Mills,Wright,1951;1-408)]**.

وفى هذا السياق أيضًا يتضح أن باريتو ركز على أهمية القوة والنفوذ السياسى فى تحديد الانتماءات الطبقية. ومعنى ذلك: إن المركز السياسى هو الذى يحدد مكانة الفرد، ويأتى فى هذا الإطار وصف **باريتو** وجود الطبقة الاجتماعية فتحدث عن ظاهرة اللاتجانس الاجتماعى، التى تتأسس على: إن المجتمع ليس متجانسًا، فالناس مختلفون جسمًا وعقلاً، والطبقات الاجتماعية ليست منفصلة بعضها عن بعض تمام الانفصال، فالمجتمع عند باريتو ينقسم إلى طبقتين أساسيتين هما: الصفوة والجماهير، والعوامل التى أدت إلى هذا الانقسام الطبقى عند باريتو ليست هى العوامل الاقتصادية التى أشار لها

ماركس، ولكنها تنقسم على أساس نفسى **[لمزيد من التفاصيل انظر:(السيد عبد العاطى وآخرون،١٩٩٧: ٢٩٠-٢٩٢)]**؛ ويرجع ذلك إلى أن باريتو يرتكز فى تصوره للمجتمع على العوامل النفسية، هذه العوامل التى تعتبر أساسًا للتوازن الاجتماعى، وعاملاً من عوامل التغير التى تساعد فى إعادة تشكيل بنية المجتمع وأنظمته. ومعنى ذلك يتضح مدى اختلاف باريتو عن ماركس فى تحديده للطبقة، بينما ركز ماركس على التفسير المادى والاقتصادى، ركز باريتو على العوامل النفسية.

ومما سبق نجد أن فيبر يشترك مع ماركس فى معيارين أساسيين حول تقسيم الطبقة هما: إن الطبقة مفهوم علائقى أكثر من أنه مفهوم متدرج، بالإضافة إلى أن تلك العلاقات متناقضة جوهريًّا، ولكنه يختلف عن ماركس فى تحديد ماركس للطبقة على أساس الاستغلال، وإن أسس هذا الاستغلال موجود فى التنظيم الاجتماعى للإنتاج، كما أن تضارب المصالح في مفهوم فيبر للطبقة لا يعتمد على الاستغلال المرتبط بالإنتاج، وإنما على الصراعات على فرص الحياة الراسخة في التبادل.

حيث يبدأ التحليلان الماركسى والفيبرى بمشكلة العلاقات الاجتماعية التى تحدد وصول الأفراد إلى الثروات الاقتصادية، فإن التعريف الفيبرى للعلاقات الطبقية المجتمع الرأسمالى يتقاسمان نفس المعايير العملية الأساسية، أما ما يختلفان فيه فيتمثل فى المعالجة النظرية المستفيضة وفى تحديد النتائج المترتبة على استعمال هذه المجموعة المشتركة من المعايير. أما النموذج الماركسى فيرى أنه يوجد مساران سببيان تقوم تلك العلاقات بتوليدهما بصورة منتظمة، حيث يمثل أحدهما من خلال التبادلات السوقية، ويعمل الآخر من خلال عملية الإنتاج نفسها، بينما يتتبع النموذج الفيبرى مسارًا سببيًا واحدًا. لهذا، يمكن بشكل ما أن تكون الاستراتيجية الفيبرية للتحليل الطبقى منسوجة بصورة تجعلها متداخلة مع نسيج النموذج الماركسى، فكلا هاتان المقاربتان تعالجان موضوع العلاقات الاجتماعية بالثروات المولدة للدخول **[(إريك أولن رايت،٢٠١٨: ٥٦)]**.

ج-الاتجاه الوظيفى :

يعد من أهم مؤسسى هذا الاتجاه إميل دوركايم، وتالكوت بارسونز، وكنجزلى دافيز، وألبرت مور، وروبرت ميرتون من أكثر علماء الاجتماع الممثلين للاتجاه الوظيفى. على الرغم من أن **دوركايم** كان معاصرًا لفيبر، إلا أن عمله كان مختلفًا إلى حد كبير، فهو

يفحص الظواهر الاجتماعية فيما يتعلق بوظائفها فى إنتاج أو تسهيل التماسك الاجتماعى، ودرس تقسيم العمل والدين والانتحار من هذا المنظور، وحاول تقسيم المجتمع إلى شكلين على أساس التضامن السائد فيه: أولهما: تضامن آلى يسود فى المجتمعات القديمة، وتسود فيه قوة الضمير الجمعى، وتضامن عضوى وهو النتيجة الحتمية لظاهرة تقسيم العمل، ويسود فيه المجتمعات الأكثر تطورًا، ويقوم على أساس التباين، وتقل هنا فعالية الضمير الجمعى، ويظهر دور القانون ويسود التعاقد.

تعد أول صياغة متسقة حول منطق الاتجاه البنائى الوظيفى فى علم الاجتماع، هى تلك التى قدمها أميل دوركايم من خلال كتابه: **قواعد المنهج**، و**تقسيم العمل الاجتماعى** حيث يحوى الكتاب الأول تمييزًا بين كل من التفسير العلمى أو السببى وبين التفسير الوظيفى لظاهرات المجتمع، أما الكتاب الثانى، فقد خصص جزأه الأول؛ لدراسة وظيفة تقسيم العمل وخصص الثانى لتوضيح أسباب وشروط تقسيم العمل، فوظيفة تقسيم العمل تتمثل فى أنه أساس للتضامن العضوى للمجتمعات المتقدمة المعقدة، الشديدة التباين. وأما أسبابه وشروطه فتتلخص فى زيادة الكثافة الاجتماعية، التى تزيد بدورها من التباين الفردى الناجم عن عدم تكامل الشعور الجمعى المشترك، إذ ينظر دوركايم إلى أشكال اللامساواة الاجتماعية داخل سياق عملية التمايز الاجتماعى، التى هى نفسها نتيجة التفاعلات الاجتماعية المتزايدة أو الكثافة المعنوية، واقترح دوركايم شكلاً مهمًّا من أشكال التفرقة بين نوعين من حالات اللامساواة، أولهما: حالات اللامساواة المقبولة اجتماعيًا، ثانيهما: حالات اللامساواة المفروضة بطريقة تحكمية، حيث كان ينظر إلى الامتيازات التى تمنحها الملكية بأنها امتيازات مشروعة **[(عبدالباسط عبدالمعطى، ١٩٨١: ١٠٦)-(إريك أولن رايت،مرجع سابق:٣١١)]**.

كما أوضح **تالكوت بارسونز** أن التدرج الاجتماعى يمثل البناء الأول، الذى من المحتمل أن يتطور نتيجة تعاظم التمايز، وهكذا، فقد أضاف بارسونز أفكار التراتب والوظائف التى تحمل مركزًا أعلى أو أدنى إلى تمايز الدور، وقدم فى مرحلة مبكرة من مساره المهنى نظرية فى التدرج قال فيها:" *إن أعمالاً معينة لها مركز اجتماعى وهيبة أكبر وتحظى بالأجر الأفضل بسبب ما تحتاجه من موهبة، ومقدرة، ومهارة، والمال، والوقت، والطاقة التى ينفق الناس من أجلها فى التدريب، والحاجة إلى استقطاب أكثر الأفراد كفاءة*

لشغلها ". وهكذا، يعتقد بارسونز أن المدارس الحديثة تزود المجتمع بوظيفة حاسمة، ليس فقط فى تعليم القيم، ولكن كذلك فى التصرف على أساس تراتبى يبرز مهارات الأولاد وكذلك يحدد وظائفهم المستقبلية، إن النقطة الرئيسة التى يركز عليها بارسونز هنا، هى: اعتبار نسق التدرج مرغوبًا وضروريًّا فى الوقت، فإن التدرج يمثل عمومية تطورية إذ بدونه لا يمكن للمجتمع المتمايز بدرجة كبيرة أن يستمر **[(روس والاث،٢٠١٦: ٢٧٦)]**.

وينسحب هذا على ما ذهب إليه كل من كنجزلى دافيز وولبرت مور، اللذان يعتبران من أهم رواد نظرية التدرج الاجتماعى حيث اعتمدا على التحليل الوظيفى فى تفسيرهم، الذى يقوم على التفاوت الطبقى، الذى يقوم على اختزال الطبقات إلى جماعات مهنية تشترك فى بعض الخصائص، دون أن تؤدى إلى حدوث صراع طبقى. ومن هنا فإن التدرج ضرورى للمجتمع الذى يقوم على التقسيم الاجتماعى، ويقوم التدرج على توزيع المكافآت غير المتكافئة على الأوضاع المهنية، وتميل النظرية الوظيفية إلى التركيز على الدور المهم للطبقة الوُسْطى بوصفها منطقة عازلة بين كل من الطبقة الرأسمالية والطبقة العاملة **[(مصطفى مرتضى،٢٠٠٣: ١٥٩-١٦٠)-(**Davis,Kingsley and Moore,Wilbert,1944; 242-249**)]**.

وينهج سوروكينP.Sorokin نفس الخط المضاد والناقد لأفكار ماركس المادية، وذلك عند تحديده للطبقة والتدرج الطبقى، وربما يكون هو العالم الوحيد الذى وجه نقدًا شاملاً للتفسير الماركسى. ويطلق سوروكين مصطلح الجماعة متعددة الارتباط " ليشير إلى الطبقة الاجتماعية التى تتنوع بتنوع طبيعة الأسرة والقبيلة والطائفة والنظام والقومية. وهو يرى أن المؤشرات الثقافية والاجتماعية لا ترجع إلى عوامل اقتصادية مثلما ذهب ماركس، كما اهتم بالقضايا المرتبطة بمراكز الناس وما يحتلونه من مراتب فى المجتمع، وإذا كان سوروكين قد رأى أن الاتجاه البنائى الوظيفى مهم جدًّا بالنسبة لدراسة التدرج الاجتماعى" **[(شحاته صيام،٢٠٠٩: ٧٣)]**.

وبناءً على ذلك حدد سوروكين متغيرات المهنة والأوضاع الاقتصادية والقانونية، التى تحدد المكانة للفرد على السلم الطبقى، وتوضح أيضًا معالم أفكاره ومعتقداته ومقاييسه وقيمه وشخصيته ومصالحه وطموحاته وأهدافه، وفى ضوء ذلك يصنف

سوروكين الطبقات فى ضوء ثلاث طبقات هى: الطبقة العليا، والوسطى، والدنيا، كما يقسم هذه الطبقات إلى ثلاث شرائح مختلفة.

ومثلما فعل سوروكين فى ربطه بين الطبقة الاجتماعية والمهنة، فعل **جوستاف شمولر**(G.Schmoller) النهج نفسه؛ إذ يرى أن المجتمع ينقسم إلى مجموعة من الجماعات يسميها الطبقات، وهذه الطبقات تضم الأفراد والأسر التى تقع فى نفس الظروف، ومن ثم فهى جماعات مغلقة إلى حد ما، وتلعب فيها المهنة ونوع العمل والحيازة والانجاز العلمى والحقوق السياسية دورًا أساسيًّا فيها. رأى **شمولر** هذه الطبقة الوسطى الجديدة، بدلاً من البروليتاريا المضطهدة، كجنين لطبقة حاكمة ملتزمة من شأنها أن تجسد المصالح العامة للمجتمع. على الرغم من أن الطبقة الوسطى الجديدة قد لا ترتفع إلى سلطة مستقلة، فإنها ستصبح قوة استقرار مهمة في التوازن العام للطبقات الاجتماعية. ويزيد بأن الثقافة العالمية التى تقوم على تقسيم العمل؛ تؤدى إلى ظهور الطبقات المتباينة. ويذهب إلى تحديد الطبقة لا يعتمد على الدخل بقدر ما يعتمد على المكانة**[(المرجع السابق،٧٢-٧٥)-(Burris,Val,1986:24)]**.

ومن أهم الدراسات التى تمثل هذا التيار الوظيفى **(دراسة حسن الساعاتى)** عن الفئات المرسملة فى مصر المعاصرة، وهناك دراسة أخرى تسير فى الاتجاه نفسه هى: **(دراسة عاطف أحمد فؤاد)** عن الصفوة. إلا أن هذا الاتجاه يشوبه العديد من الانتقادات أهمها: المعايير التى تم الاستناد عليها.

ولقد لاقى التيار الوظيفى فى دراسة البناء الطبقى انتقادات عدة لعل أهمها: أن أصحاب هذا التيار يردون هذا البناء الطبقى إلى الفروق القائمة بين أفراده فى المواهب والميول والقدرات، وأن تقسيم العمل الاجتماعى إلى مهن ليس هو السبب فى تكدس الثروات، وإنما هو أثر مترتب عليها، فضلاً عن أن الطبقات هى التى تحدد اختيار المهن وليس العكس، والمحكات التى يستخدمها أصحاب هذا التيار الوظيفى لا تصلح لهذا الغرض؛ لأنها تلغى المضمون الاجتماعى لمفهوم الطبقة وتحوله إلى عدد لامتناهٍ هى من المجموعات أو الشرائح أو التجمعات. ويتضح مما سبق: إن أنصار الاتجاه الوظيفى اعتمدوا على نفس المعايير التى اتخذها الغرب فى تناولهم للبناء الطبقى، ليحددوا معايير ومحكات أساسية للتصنيف ألا وهى: أسلوب الحياة والمهنة والدخل والثقافة **[(محمود**

جاد، مرجع سابق: ٤٦)-(Young, Linda:2003:2-5)].

واستنادًا إلى ما سبق، فإن الطبقة لا بد أن تحدد من خلال التعريف الذاتى ومحاولة تقييم أنفسهم، ومطابقة الدخل والإنفاق وغيرها من المعايير الأخرى، التى تعد من أبرز المعايير لدراسة الطبقة. **ولوحظ** أنه وفقًا لهذا الاتجاه الذى يركز على معايير أكثر شمولية من الاتجاه الماركسى؛ حيث يركز على البعد الاقتصادى والمكانة والقوة.

٢-١: الاتجاهات النظرية المحدثة حول دراسة الطبقة:(الماركسية المحدثة-النيوفيبرية-النيودوركايمية)

أ-الماركسية المحدثة:

لقد قام بعض الماركسيين المحدثين بإعادة قراءة ومراجعة ما طرحه ماركس ولينين، وقد رفض هؤلاء المنظرون أيضًا الكثير من الاستنتاجات المحددة لماركس، لكنهم حافظوا مع ذلك على الأهداف الأساسية لتحليل ماركس الطبقى. **على سبيل المثال لا الحصر**: رايت ميلز، وجورج لوكاش، ونيكوس بولانتزاس، وجون كارشيدى.

حيث يعتبر **رايت ميلز(١٩١٦-١٩٦٢)** ممن اهتموا بدراسة الطبقة الوسطى، ومن أهم مؤلفاته: (ذوو الياقات البيضاء) White Collar مثلما تحدث عنهم ميلز فى كتابه؛ حيث تناول أوضاع الطبقة الوسطى الأمريكية فى منتصف القرن العشرين فى ضوء الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، هذا بالإضافة إلى محاولته إدخال العناصر الفيبرية فى تحديده للطبقة الوسطى؛ وشغلت مهن ذوى الياقات البيضاء أكثر من نصف أعضاء الطبقة الوسطى الأمريكية فى الفترة (١٨٧٠:١٩٤٠)، كما ارتفع عدد العاملين فى الياقات البيضاء من الطبقة الوسطى الجديدة من(١٥:٥٦٪)، بينما انخفضت الطبقة الوسطى القديمة من (٨٥:٤٤٪)، هذا بالإضافة إلى تزايد أعداد العاملين فى قطاع الخدمات عن العاملين فى القطاعات الأخرى، والملاحظ أيضًا إن دراسته عن أوضاع الطبقة الوسطى الأمريكية فى منتصف القرن أصبحت تنطبق على الطبقات الوسطى غير الأمريكية، وذلك فى ظل التحولات التى طرأت على العالم، وما يميز أوضاع الطبقة الوسطى الجديدة عن القديمة فى أنها تجد فرصتها فى العمل وتستمد الأمان من وضعها الوظيفى **[(**Vidich,Arthur,1995: 189-192**)]** .

هذا بالإضافة إلى كتابه المعنون بـ**(الماركسيون)** Marxists الذى حاول خلاله

مراجعة بعض المفاهيم الماركسية، وأولها مفهوم الطبقة ووجد أن التطورات الحديثة حولت الطبقة الوسطى الإدارية إلى طبقة اساسية فى المجتمع تصنع الاستغلال وتدعمه، وإن الطبقة العاملة لم تعد قادرة على الثورة. ومن الواضح إن مفهوم الطبقة بدأ يختفى ليظهر مكانه المجتمع الجماهيرى.

وكذلك محاولة **جورج لوكاش** Georg Lukács **(١٨٨٥-١٩٧١)** التى توصلت إلى أن الطبقة هى أساس نشأة وتطور أبنية التكوين الاجتماعى، كما يعتبرها صانعة التاريخ ووراء كل الأحداث، كما أولى اهتمامه بالطبقة السياسية لإدراكه مدى قدرتها على التغيير، ويعتبر **لوكاش** Lukács ممثل الاتجاه المهتم بتحليل الطبقة والوعى الطبقى، كما حاول إعادة تأويل الماركسية من خلال الاعتماد على التحليل الهيجلى، وظهر ذلك فى **كتابه**: **"التاريخ والوعى الطبقى"**، حيث يرى أن قضية الوعى الطبقى هى التى تحدد مدى سيطرة طبقة معينة انطلاقًا من مصالحها الذاتية ووعيها الطبقى، ومن هنا حاول أن يميز بين وعى الطبقة البرجوازية وبين طبقة البروليتاريا، وحاول **لوكاش** أن يحول الصراع الطبقى إلى صراع أيديولوجى، صراع على مستوى الوعى الطبقى، وفى الواقع يصبح الوعى هو السلاح الوحيد فى يد البروليتاريا، كما أن البرجوازية تسعى إلى إلغاء الصراع الطبقى، ووجد أن الوعى عند الطبقة البرجوازية لا يمكنها من فهم الأزمات، وعلى النقيض وجد أن البروليتاريا تستطيع أن تجد نفسها فى لحظة من التاريخ؛ بل إنها صانعة التاريخ، وذهب إلى أن هذه الطبقة هى التى لديها القدرة على فهم الواقع؛ وإحداث تغيير. وأما فيما يتعلق بالطبقة الوسطى وجد أنها مشتتة بين الطبقتين.

وعلى نفس المنوال ركز أيضًا **جينزبرج** Ginsberg على تحديد الطبقة الاجتماعية طبقًا للوعى الطبقى، وذهب إلى أن الوعى الطبقى يكمن فى ذلك الشعور الذى ينتاب الفرد، بينما يرى **جون كارشيدى** Carshedy أن الطبقة الوسطى لا تملك رأس المال، ولكنها هى التى تحوزه على المستوى الواقعى، دون أن تملك وسائل الإنتاج، يكون إنجازها لهذه الوظيفة مقرونًا بالعمل، ويتضح من ذلك إن كارشيدى اهتم بالأبعاد السياسية والأيديولوجية.

ومن ثم فقد قام باحثون ماركسيون محدثون بتطوير مفاهيم أخرى للطبقة الوسطى، مثل: **بولانتزاس** Poulantzas **(١٩٣٦-١٩٧٩)**، حيث قام بتقسيم الطبقة

الوسطى إلى مجموعتين: البرجوازية الصغيرة التقليدية التى تشترك فى خصائص محددة مع الطبقة الدنيا، والبرجوازية الصغيرة الجديدة، التى تشترك فى خصائص محددة مع الطبقة العليا، حيث تنظر البرجوازية الصغيرة الجديدة إلى عملها كمهنة، حيث يكافأ الجهد الفردى بالترقية، بينما يتناقض هذا بشكل حاد مع تصور البروليتاريا، الذى يرى عمله كوظيفة دون إمكانات، وهذا الوعى الطبقى لهذه الطبقة الجديدة يجعلها أكثر قدرة على التفرد والتنافس. كما أولى **بولانتزاس** أهمية خاصة للبعد الاقتصادى فى تحديده للطبقة، هذا بالإضافة إلى محاولة **(إريك أولن رايت)** التى تعتبر من أبرز المحاولات المعاصرة التى سعت إلى تطوير هذا النموذج الماركسى، ومما سبق يتضح: إن الفكرة المشتركة بين العلماء الماركسين المحدثين، ترى العلاقات الطبقية تقوم على فكرة متشعبة ومتداخلة تؤكد على وجود علاقة بين العمل ورأس المال. **[(** Ross,George,1987:173)-(**جميل هلال،٢٠٠٦: ١٤)].**

كما تعتبر أهم محاولات إعادة التفكير فى الماركسية، محاولة إعادة التفكير في مفهوم الاستغلال وتأثيراته على النظرية الطبقية التي قام بها الاقتصادي الماركسي **جون رومير** John Roemer. وظهر ذلك من خلال مقاربته للعدالة من مدخل الاستغلال الذى يربطه بعدم المساواة فى ملكية الأصول الإنتاجية، وذلك من خلال تجاوز المفهوم الضيق للاستغلال. لقد جادل الكثير من الماركسيين بأن مفهوم الاستغلال هو مفهوم لمفهوم الطبقة، ويعتبر أحد العناصر المركزية التي تحدد ما يميز الطبقات عن أنواع العلاقات الأخرى. لكن **جون رومير**، حاول التأكيد على أن مفهوم الطبقة لا ينبغي تعريفه من حيث الاستغلال؛ بدلاً من ذلك، يجب أن تكون الطبيعة الاستغلالية للعلاقات الطبقية أحد الخصائص الهيكلية للفئات. ولذلك يقترح تعريف الطبقات بدقة من حيث العلاقات الملكية – ملكية أنواع مختلفة من الأصول الإنتاجية، كما رأى ضرورة الانسحاب من قضايا الاستغلال عند تفعيل نموذج Game theory، والذى يطرح رأيا بأن العاملين ربما يكونون أفضل حالاً، إذا قرروا الانسحاب تمامًا من السوق. **[**(Roemer,John,1981; 253-287)**]**

ب- النيوفيبرية:

وفى ضوء الانتقادات الموجهة للماركسيين والماركسيين المحدثيين فقد قدم آخرون

أمثال ريتشارد برين وجولد ثورب، لوكوود. حيث قدم (**ريتشارد برين وجولد ثورب**) تطوير مقياس يرتكز على الأفكار النيوفيبرية حيث حاولوا تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات تتحدد فى الطبقة المسيطرة، والطبقة البرجوازية، والطبقة الوُسْطى، والطبقة العاملة. وأكد كل منهما خلاله على اختلاط عوامل القوة والفرص المتاحة لتحسين المستوى المعيشى بشكل أكثر ملامسة للتعاملات اليومية وفى غياب الوعى الطبقى للعلاقة بين الطبقات الاجتماعية، فهو لم يقم فقط بتقسيم العاملين بأجر. ولكن يتفق هذا التقسيم مع محددات وضعها **إيفانز وميلز** تساعد على تجميع العاملين بأجر ضمن هذه الفئات. كما قدموا تعريفًا للطبقة الوُسْطى يتحدد فى المواقع الطبقية التى يشغلها الفاعلون، حيث تنقسم الطبقة الوسطى إلى مديرين ومشرفين بالمراتب الدنيا وعمال روتينيين بوظائف غير جسدية.

حيث استند **جولد ثورب** إلى معيارين هما: السلطة وتقسيم العمل فى كتابه الذى نشره عام ١٩٩٢ **المعنون بـ**(The Promising Future of Class Analysis: A Response to Recent Critiques)، فقد اعتمد على فرص الحياة المشتركة بين الأفراد، تلك الفرص التى تحددها علاقات السوق وعلاقات العمل، فإن الهدف من مخطط جولدثورب هو التفريق بين المراكز الموجودة داخل أسواق العمل ووحدات الإنتاج. حيث يتم التفريق بين المراكز فى ضوء علاقات التوظف التى تنجم عن تلك المراكز، وطبقًا لذلك فإن فرص الحياة تستمد من المركز الطبقى الذى يشغله، حيث يمكن التفرقة بين هذه الأعمال فى درجة الملكات النوعية.

كما قدم كلا من **جولد ثورب ومارشال** تعريفًا للطبقة "من خلال العمليات التى يتم توزيع الأفراد والأسر بين مختلف الحالات الطبقية، هذا التمييز المفاهيمى بين الوضع الطبقى والطبقة الاجتماعية يسمح لهم بالمجادلة بأن حدود الطبقة يمكن تعريفها بطريقة أكثر من كونها تعسفية" **[(Scott,John,1994;935)]**. كما قدم **لوكوود** دراسات تناولت تحليل الطبقة الاجتماعية باشتراكه مع **جولدثورب**. واشترك كل منهما فى إجراء دراسة حول فحص الاتجاهات السياسية والطبقية والصناعية لفئة من العمال أطلقوا عليها: عمال الرفاهية (الميسورين) على عمال شركة ليتون لإنتاج السيارات. توصلت الدراسة إلى أن زيادة الدخل لا ترتبط بتغير اتجاهات العمل، وانتقالهم إلى جماعة اجتماعية

أخرى، ولكن هذا لا يعنى انتماءهم إلى الطبقة البرجوازية الجديدة إلى جزء منهم **[(طاهر حسو الزيبارى، ٢٠١٦: ٢٢٨-٢٢٩)]** .

وقد أضاف **ريتشارد برين** Richard Breen فى الكتاب المعنون بـــ**(أساليب قياس الطبقات)**، الفرص المتاحة للشخص للاستفادة من المنافع التى يقدمها أى مجتمع، بالإضافة إلى ملكية وسائل الإنتاج من عدمها؛ حيث يمتلك الأشخاص خبرات ومؤهلات تضعهم فى مواقع متباينة داخل السوق، فيستخدم فيبر مصطلح الطبقات الاقتصادية، حيث يلاحظ التحول من موقع اقتصادى إلى آخر مقارنة بالثبات النسبى فى التحول من طبقة اجتماعية إلى أخرى. وقد خلص إلى أن التقسيم الطبقى حسب النيوفيبرية إلى أنه لا يفسر تمامًا إتاحة الفرص حسب المواقع الطبقية، فالعوامل المتمثلة فى العائلة، الخلفية الإثنية، النوع الجندرى. تلعب دورًا فى صياغة الفرص المتاحة. إلا أن النيوفيبرية قد لا تكون النهج الأمثل فى رصد هذه العوامل.

كذلك اقترح كل من **باربرا وجون ايرنيريش** فى دراستهما النظرية للطبقة المهنية الإدارية (PMC) اختصارًا لـــ(Professional Managerial Class)**،** أن كل الفئات الوسطى من أصحاب الرواتب الموجودين خارج حدود الطبقة العاملة يشكلون طبقة وسطى جديدة. وفقًا لذلك حاول ايرنيريش **(Ehrenreichs)** تحديد الطبقات الاجتماعية فى ضوء العلاقات المرتبطة بالاساس الاقتصادى، والوجود الاجتماعى والثقافى، والتعليم وأنماط الاستهلاك، فتعريفه للطبقة الوسطى يعتمد على مفهومين هما الصراع الطبقى والمكانة **[(** Kivinen, Markku,1989:54**)]**. ويتضح مما سبق أن هذا الاتجاه يحدد المعايير المرتكزة على الاتجاه الفيبرى، كما أضافت معايير أخرى للتحديد الطبقى.

ج-التحليل الطبقى المرتكز على مراجعة أفكار دوركايم: (النيودوركايمية)

هناك العديد من الباحثين الذين حاولوا إعادة مراجعة أفكار دوركايم عن الطبقة، وذلك من خلال محاولة وضع مفهوم المهنة فى مقياس متدرج، وفقًا لما تتضمنه من تأثير اجتماعى واقتصادى، من خلال ربط المهن بالمراكز والوضع الطبقى والتى تحدد مكانة الفرد، كما أنه يمكن استخلاص رؤى مهمة حول بنية الطبقة المعاصرة من إعادة قراءة جديدة لدوركايم وبخاصة رؤيته للجمعيات المهنية.

وبالرغم من ذلك لا يمكن النظر إلى هذه الأفكار باعتبار دوركايم أنه كان يتنبأ بالتحليل الطبقى. حيث ركزت كتابات دوركايم على الجماعات الوسيطة التى تظهر فى الأسواق، ومعنى ذلك أنه ساهم فى التحليل الطبقى من خلال وضع سيناريوهين: **أولهما**: المستويات الكبيرة للظواهر الاجتماعية وتتعلق بالقوى الاجتماعية (قوة مأسسة الصراع)، والتى تجعل الطبقات الكبيرة الصغيرة الحجم غير قادرة على البقاء على المدى الطويل، **ثانيهما**: المستويات الصغيرة (المهن ذات الطابع المحلى)، التى يطلق عليها المصطلح الألمانى Gemein schaftlish، التى من الضرورى ظهورها فى مواقع الإنتاج، كما أنها تشكل قيم الأفراد وفرص حياتهم وأساليبهم المعيشية. كما يجب على المرء أن يدرك أن سوق العمل منظم جيدًا وقوى على المستوى الجزئى للمهن، ويمكن للفئات التقليدية للتحليل الطبقى يمكن استبدالها بتجمعات المهن ذات الطابع المحلى **[(إريك أولن رايت، مرجع سابق: ١٠٨-١١١) - (Grusky and Galescu, 2005: 322-325)]**. ومن الملاحظ إغفال دوركايم لكيفية تحديد الروابط الطبقية، بينما حدد ماركس مفهوم الاستغلال والهيمنة كمحدد للتحليل الطبقى، حيث ركز دوركايم على الروابط المهنية التى تتحول إلى الأشكال التنظيمية التى تحدد التداخل بين الدولة والفرد.

وقد قدم **جروسكى وسورنسون** تحليلات لأفكار دوركايم أكدت أن النتيجة العملية لهذه القاعدة التى صاغها دوركايم تتمثل فى: أن المهن ذات الطابع الخاص، تصبح بدرجة أكبر مما عليه حال الطبقات الكبيرة الحجم، هى الموقع الرئيس الذى يتم فيه توليد الميول أو الاتجاهات الاجتماعية المميزة وأساليب الحياة المتميزة، ويعبر **دوركايم** عن هذا المعنى بقوله: " إن للمهن ثقافاتها الخاصة بها، والتى تتألف من أفكار معينة " حيث حاول كل منهما مع **كيم ويدين** Weeden ، أن يبنوا نموذجًا يتضمن التحليل الطبقى على المستوى الصغير، للتحليل الطبقي التقليدي يمكن استبدالها بـ "الطبقات الصغرى" التي هي جزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع ذاته. **[(أريك أولن رايت، المرجع السابق، ١١٩-١٢٠)-(Grusky,David and Galescu,Gabriela,2005:1-6)]**.

ويتضح مما سبق: ضرورة الربط بين التحليل الطبقى والواقع الخاص بسوق العمل، وذلك للربط بين النظرية والتحليل، ويتضح من ذلك أن هناك بعض الفئات التى يمكن استبعادها، ولقد انطلق بعض الباحثين من فكرة الانغلاق الاجتماعى لفهم

العلاقات الطبقية، وعلى سبيل المثال حاول **باركين** Parkin التأكيد على وجود طبقتين استنادًا إلى معيار أساسى هو الانغلاق. ومما سبق يتضح وجود طبقة متضمنة للمسيطرين، وطبقة تتضمن المستبعدين أو التابعين. وهو هنا يعتمد على فكرة ماركس فى التأكيد على فكرة الهيمنة والسلطة. إلا أنه **يمكن** الاستعانة بأفكار دوركايم عن التحليل الطبقى فى حاجة إلى الاختبار الإمبيريقى، للوقوف على الأبعاد التى أغفلها، وللتأكد من قدرة هذه المؤشرات على التحليل.

١-٣:الاتجاهات النظرية المستحدثة لدراسة الطبقة: (**بيير بورديو-أريك أولن رايت-مدخل الجماعات الإستراتيجية-مفهوم الريع-مابعد الطبقية**)

أ-بيير بورديو:

تعتبر الطبقة عند بورديو نسقًا محوريًّا من المحددات الموضوعية، فلا بد من ربطها بالهابيتوس، حيث تشكل الطبقة الاجتماعية مفهومًا محوريًا فى كتاباته، وقد جعلته يدرج بصورة روتينية فى قوائم الرواد من المنظرين الطبقيين المعاصرين. ولكن بالرغم من محوريته، فإن التصور الخاص لهذا المفهوم الذى يبث الروح فى أعمال بورديو يظل غامضًا ويرجع ذلك للأسباب الآتية: لا يمكن النظر إلى فكرته عن الطبقة وفقًا لأفكار ماركس، أو فيبر، أو دوركايم؛ وذلك لأنه حاول استعارة ما يحتاج إليه من قواعد علم الاجتماع فى دراسة الطبقة، فإن نظريته عن الطبقة تتشكل فى ضوء اعتبارين: الأول: نظريته عن الفعل والتى دارت عن الهابيتوس، الثانى: إن مقاربة بورديو فى فهم الطبقة الاجتماعية أفردت لذلك موقعًا جوهريًّا للنظم الرمزية **[(أريك أولن رايت، المرجع السابق: ١٦٥-١٧٠)]**.

وقدم **اليوت وينينجر** (Elliot B.Weininger شرحًا لنظريات بيير بورديو فى التقسيم الطبقى. ويرى أنه يتفق فى تحديده للخط الفاصل بين الطبقات كما أن هناك اعتبارات رمزية للتحديد الطبقى. واتفق **بورديو** مع **ماكس فيبر** فى التركيز على الأبعاد الرمزية لدراسة الطبقة، وعلى هذا الاساس تأسست أفكاره خلال دراسته للمواقع الطبقية على الاستهلاك اليومى المتمثل فى المأكل والملبس وتذوق للفنون، وتحديد الخصائص المشتركة بين الأفراد لتكوين طبقة معينة، غير أن هذا لا يعنى الاستغناء عن مؤشر الدخل. ومن الملاحظ أيضًا خلال الفترة الممتدة من منتصف الستينيات وحتى

بداية السبعينيات، شهد حقل الاجتماع السياسى تحولاً ثقافيًا، بدأ بالتركيز على الهوية كمعيار لدراسة الطبقة وتحولاتها حيث التركيز على اللون، والنوع، والأقليات، ثم اتسع مفهوم الثقافة ليشمل التمييز بين العادات الثقافية بالرجوع إلى الجماليات (الفنون والموسيقى والمعارف والآداب) التى يتذوقها كل فريق.

ومن الملاحظ يستوعب مفهوم البناء الطبقى عند بورديو تقسيم العمل المهنى كله، وهذه الملاحظة تعنى ضمنًا أن بورديو يضفى على هذا المفهوم نطاقًا أوسع مما هو عليه فى النظريات الماركسية. بناءً على ذلك، فإن هذا النموذج لا يقتصر أمره على أنه يستوعب، بفعالية مهن الطبقة الوسطى التى كانت، ولا تزال، مصدر ذلك القدر الكبير من الأسى فى التراث الماركسى، بل يستوعب أيضًا ذلك التحول فى المهن التى تدور حول معظم المخططات التحليلية الطبقية، بما فيها المراكز الموجودة فى مهن الإدارة العامة وفى جهاز الدولة، التى تسمى المهن الاحترافية كمهنة القاضى، أو القائد، أو أستاذ الجامعة، بجانب المراكز التى يشغلها المثقفون، والفنانون، وغيرهم من صناع الثقافة بأجمعهم، ويتم التفريق بين مفردات تقسيم العمل المهنى من بين رأس المال الاقتصادى والثقافى للأسرة التى نشأ به الفرد. **[(المرجع السابق، ١٧٣-١٧٦)]**

ويتضح مما سبق أن بورديو استند إلى مفهوم الهابيتوس فى تحليله الطبقى، وعلى هذا الاساس قسم الهابيتوس إلى هابيتوس الطبقة العاملة، وهابيتوس الطبقة الوسطى، وهابيتوس الطبقة المهيمنة أو المسيطرة، ويعد هابيتوس الطبقة الذى استعمله بورديو فى توصيف نتائج تفاعل الفرد مع محيطه، استنادًا إلى أن كل أحد تجسيد لمجموع الصفات والقيم التى استوعبتها الطبقة.

هذا بالإضافة إلى أن مفهوم بورديو عن الفضاء الاجتماعى يشبه بالفعل ذلك التوجه التفصيلى فى التحليل الطبقى الذى طوره جروسكى وسورنسن (Grusky and Sorensen). حيث طور بورديو نظريات التقسيم الطبقى الاجتماعى مستندة على الذوق الجمالى، يدعى بورديو بأن كل فرد يختار فضائه الاجتماعى وفقًا لنزعاته الجمالية. كما أن الطبقات تتحدد من خلال رأس المال الثقافى والاقتصادى والاجتماعى. حيث تطور كل طبقة مسيطرة معاييرها الجمالية. حيث يميز بورديو ضمن الطبقة المهيمنة، بين البورجوازية التى لديها مستوى مرتفع من رأس المال الاقتصادى، ومستوى منخفض

نسبيًا من رأس المال الثقافى، والمفكرين الذين لديهم مستوى مرتفع من رأس المال الثقافى ومستوى منخفض نسبيًا من رأس المال الاقتصادى. وفى هذا الصدد، يتمثل إسهام **بيير بورديو** فى الإشارة إلى أن الطبقة يمكن تحديدها من خلال الخصائص المشتركة بين أعضائها حيث يجتمعون بناءً على تماثلهم فى العادات والتقاليد. وقد تم إعادة معالجة مفهوم الطبقة الوسطى وربطه بالهوية والعرق خلال دراسة (Johnson, Kaylee: 2017) لفهم العلاقة بين الطبقة الوسطى والعرق والهوية.

وانطلاقًا من **فرضية أساسية** وهى إن الهابيتوس أى: النمط المعيشى يؤثر فى الأفعال اليومية مثل التذوق والملابس والأثاث والفن والعادات والأنشطة ووقت الفراغ؛ لأنها نتاج ظروف موضوعية. ويرتبط الهابيتوس برأس المال؛ حيث إن الهابيتوس الخاص بالشرائح الاجتماعية والثقافية والاجتماعية المهيمنة يتفاعل كطرف مكمل مع الأنواع المختلفة لرأس المال ليشكل رأس مال رمزى، ويتضح من خلال رأس المال الثقافى لدى هذه الطبقة والمخزون الثقافى المكتسب من البيئة المحيطة، وعلى سبيل المثال: فإن النكتة وفن صناعة السعادة تعد آلية تستخدمها الطبقة الوسطى للتكيف مع الضغوط والأعباء الحياتية بداية من روح الدعابة والنكتة حتى مشاهدة المباريات هى أحد آليات الضحك والتهوين التى تلجأ إليها الأسر.

حاول كل من (HenryJ,Rutz and Erol M.Balkan:2009) فى كتابهما، التركيز على الأسر المنتمية للطبقة الوسطى، بدراسة الممارسة التربوية لدى الطبقة الوسطى، التى حاولت تجسيدها بالاعتماد على نظرية بورديو حول رأس المال الثقافى؛ حيث ركز على موضوع النخب وإستراتيجيتها نحو إعادة إنتاج الطبقة الاجتماعية وهى الطبقة ذات الامتيازات. حيث طُبقت هذه الدراسة على عدة مراحل: بين عامى ١٩٩٠-١٩٩٧، كما أجريت بعض المقابلات فى ٢٠٠٦، وأجرى المسح لجمع المعلومات الخاصة بالخصائص التعليمية والمهنية وأسلوب الحياة على العينة نفسها التى تم التطبيق عليها فى ١٩٩٣، وبينت النتائج ارتباط العولمة بإنتاج الطبقة الجديدة عام١٩٩٣. وذلك يتوازى مع دخول النيوليبرالية الجديدة إلى تركيا، ثم يستفيض الباحثان من خلال الربط بين إنتاج الطبقة الاجتماعية والتشكيل الطبقى ضمن إطار نظام اقتصادى نيوليبرالى، وبين خبرات الطبقة الوُسْطى الأعلى فى إسطنبول، حيث كانت حدود الطبقة الوُسْطى الأعلى فى

إسطنبول كمجموعة اجتماعية نخبوية علمانية كوزموبوليتانية، كما حاول الباحثان إلقاء الضوء على التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ب-الحدود الطبقية عند إريك أولن رايت:

يعتبر **إريك أولن رايت** من المفكرين الماركسيين المعاصرين، حيث ركز على مراجعات لبعض الرؤى الفكرية المرتبطة بدراسة الطبقة، وفى ضوء ذلك حاول **إريك أولن رايت**(Erik Olin Wright) فى كتابه **المعنون بـ(مداخل للتحليل الطبقى-** Approaches to Class Analysis) أن يحدد مدى تراجع التركيز على مفهوم المادية التاريخية لماركس فى دراسة الطبقة، خلافًا إلى ذلك حاول التركيز على مفهومين **ألا وهما**: التحليل الطبقى والتكوين الطبقى، ويسعى هذا المنطلق الفكرى إلى التركيز على علاقات القوة والتمركز، وفى ضوء ذلك يمكن التأكيد على أفكار ماركس وفيبر من ناحية، والتركيز على الأفكار الماركسية المحدثة من ناحية أخرى. وبناءً على الأفكار الماركسية المحدثة التى تركز على علاقات القوة والاستغلال، تؤشر إلى دراسة الطبقة الوسطى من خلال التأكيد على فكرة المواقع الطبقية، على الرغم من التوسع فى دراسة هذه المواقع الطبقية هناك من يحاول التمييز بين طبقتين إحداهما مالكة وأخرى غير مالكة، كذلك لا يمكن التفرقة بين هذه المواقع الطبقية إلا من خلال تحديد الفرص المتاحة أمام هذه المواقع كل حسب موقعه. ومما سبق يتضح مدى إدراكه إلى "أن الطبقات عبارة عن آلية منظمة للهيمنة والاستغلال حيث تمنح المواقع الاقتصادية بعض الناس سلطة على حياة الأخرين وأنشطتهم".

ولذلك حاول **إريك أولن رايت** مراجعة مجموعة من الاستراتيجيات البديلة التي اعتمدها الماركسيون للتعامل مع مشكلة الطبقات المتوسطة، حيث عكست وجهات النظر أنه لا توجد طبقة وسطى، بجانب أنه لا يمكن تعريف الطبقات إلا على أعلى مستوى من التجريد، وهو مستوى نمط الإنتاج المستقطب. حيث يُنظر إلى الطبقة الوسطى على أنها جزء من البرجوازية الصغيرة الجديدة؛ كما يتم التعامل معها أيضًا على أنها جزء من الطبقة العاملة (الطبقة العاملة الجديدة). أما في سياق التطور الرأسمالي ظهرت طبقة جديدة لديها القدرة على التنافس على منصب الطبقة المهيمنة؛ وينظر لها كطبقة جديدة مميزة في حد ذاتها، وهي طبقة تظهر فئة أخرى.[(Wright,Erik

[(Wright,Erik Olin,2015: 1-10)-(Olin:2008:18

ومن اللافت للنظر تستند نظرية **إريك أولن رايت** إلى عمل **هارى برافرمان**Harry Braverman الذى يعتبر أول محلل يقترب من الطبقات كمواقع طبقية ويقرنها إلى مستوى تنظيم العمل؛ حيث حاول أن يربط **برافرمان** بين رأس المال والعمل من ناحية، ونشأة الطبقة الوسطى وتطور المجتمع الرأسمالى من ناحية أخرى، وفى هذا الإطار حدد ثلاث عمليات رئيسة للعلاقات الطبقية، ألا وهي الفقدان التدريجى للسيطرة على عملية العمل من جانب مباشر للمنتجين، وضع تسلسل هرمى معقد داخل المؤسسات الرأسمالية والبيروقراطية، اختلاف الوظائف المختلفة المتجسدة أصلاً فى الريادة الرأسمالية. وتتحدد المواقع الثلاثة المتناقضة الرئيسية وهم: المديرون والمشرفون، والموظفون شبه المستقلين وأخيرًا أصحاب الأجور.

وتأتى أهم هذه الدراسات التى أنطلقت من فكرة المواقع الطبقية **دراسة محمود زكى جابر** التى نُشرت عام١٩٩٨، ودراستا **عبدالباسط عبدالمعطى** التى نُشرت فى كتابين عامى ٢٠٠٢، ٢٠٠٦.

ج- مدخل الجماعات الإستراتيجية لدراسة الطبقة:

يشير مفهوم الإستراتيجية إلى العمليات التى يحدث من خلالها الاستقطاب الطبقى والتحالفات الطبقية، فبالنسبة للطبقات المسيطرة يشكل تحالفها وتحالف أجنحتها ما يطلق عليه تكتل القوة، وكل طبقة تشكل قوة اجتماعية، وجميعها تشكل الناس أو المجتمع. لعل ما طرح حول هذا المفهوم الجماعات الإستراتيجية وأسلوب تكوينها وعلاقتها بالتركيب الطبقى وبالأجهزة السياسية، يعتبر من أكثر وجهات النظر خصوبة وثراء فى هذا المجال، الذى يؤكد أهمية هذا المدخل ودلالته الإمبيريقية والمنهجية والنظرية. وقد حاول**(أحمد زايد ٢٠٠٨)** الاستفادة من هذا المفهوم وجعله بديلاً للطبقات فى مرحلة التحول الاجتماعى، مثلما اعتمد أولن رايت على مفهوم المواقع الطبقية فى مدخله لدراسة الطبقة.

وقد حاول **أحمد زايد** خلال كتابه المعنون بـــ**(الدولة بين نظريات التبعية والتحديث)** تقديم رؤية جديدة حاول خلالها أن يوضح كيفية تشكل العلاقة بين الجماعات الإستراتيجية (الطبقات) فى فهم استقلالية الدولة فى العالم الثالث، هذا

بالإضافة إلى تأكيده على البعد التاريخى فى فهم تكوين الطبقات. ويعنى ذلك أننا عندما نبحث فى أصول الطبقات الاجتماعية، فإننا نبحث عن تجمعات من الأفراد أو الجماعات ذات التأثير فى عملية التحول الاجتماعى، التى بدأت تشغل أوضاعًا جديدة فى شئون الاقتصاد أو السياسة أو الإدارة، ثم نحدد تكوين هذه الجماعات وأساليبها فى الحراك الاجتماعى ومصادر قوتها.

وقد يعول الكاتب كثيرًا على دراسة (**إيفرز**) التى استمد بياناته من مجتمعات جنوب شرق آسيا، الذى أكد على وجود هذه الجماعات الإستراتيجية التى تم تكوينها من خلال استيراد أنماط للأدوار من الخارج، أو حتى من خلال فرضها عن طريق النظم الاستعمارية. ولقد كانت هذه التجمعات شبه جماعات حيث كانت الانتماءات العرقية واللغوية أكثر تأثيرًا من الانتماءات إلى الوظيفة أو المركز الجديد، كما حاول الكاتب أن يستفيض فى حديثه عن ظهور الجماعات الإستراتيجية وربطها بعملية التحديث؛ وذلك نتيجة لما فرضته عمليات التحديث من أوضاع جديدة، كان الحراك فيها إلى أعلى، فهذه الجماعات تشغل أدوارًا يربطها بمجال عمل أو نشاط مشترك، كما تكتسب أهمية إستراتيجية كجماعة فى عملية التطور السياسى، وفى مواقف الصراع ومواقف الإصلاح أو الثورة فى المجتمع، فضباط الجيش، وأصحاب الأعمال الحرة وكبار ملاك الأرض يعتبرون جماعات إستراتيجية. وهكذا يعرف المجتمع عددًا كبيرًا من الجماعات لا تستقطب فى طبقات إلا بعد أن تقطع شوطًا فى التحول الرأسمالى، وتحاول أن تعظم من قدرتها على تملك الفائض.

فالجماعة الإستراتيجية غير متساوية فى القوة، ولقد أكد **إيفرز** أهمية التتابع التاريخى فى ظهور هذه الجماعات، ومن ثم اختلافها فى القوة التى تتمتع بها، فالجماعة التى تظهر أولاً يكون لها من القوة قدر يفوق الجماعات التى تتبعها فى الظهور، فعندما تظهر الجماعة الأولى تحاول أن تقيم بنية فوقية (نظامًا سياسيًّا أو اقتصاديًّا)، يتناسب مع مصالحها، هذه الجماعة هى التى تملك الفرصة الأكبر فى تشكيل النظام. هذا بالإضافة إلى وجود ثلاثة أنماط من الممارسة السياسية لهذه الجماعات تتحدد فى الآتى: الأول: الاستملاك الفردى الذى تنتهجه الجماعات التى تمتهن المهن الحرة كالأطباء والمحامين وصغار التجار، وتحاول أن تنظم نفسها فى أحزاب تؤثر على تشكيل النظام السياسى، ويميل هذا النوع إلى

تبنى الأيديولوجية الليبرالية. الثانى: التملك المشترك الذى تنتهجه الجماعات التى تسيطر على وسائل الإنتاج مثل أصحاب المشروعات ورجال الأعمال المنظمين. بالإضافة إلى نمط التملك الجمعى ويرتبط بالوظائف العامة فى البيروقراطية والجيش.

وستتم الاستفادة من مدخل الجماعات الاستراتيجية لتؤكد دورها كطبقة وسطى لما لها من أهمية استراتيجية لديها قدرة على تحقيق التوازن فى المجتمع، ولديها قدرة على تحقيق استقرار النظام السياسى، ومعنى ذلك أن الطبقة الوسطى كجماعات استراتيجية تحاول أن تخلق النظام الاقتصادى والسياسى الذى يعظم من وجودها، وذلك من خلال اعتمادها على آليات الحراك الاجتماعى والسياسى. نستطيع من خلال الجماعة الاستراتيجية تحديد كيف نفهم الطرق التى يتم بها صياغة الممارسات الجماعية الاستراتيجية فى إطار بنية العلاقات الطبقية، فى ضوء التراتب الزمني، المهن، الفروق المادية. حيث أدت هذه الفروق فى ظهور الجماعات الاسترتيجية وتمكينها بدءًا بمحمد على. فالطبقة والدولة فى مصر تتباين أدوارهما تباينًا ملحوظًا، فالمصالح المشتركة بينهما كانت هى السمة التى تربطهما وتوطد علاقتهما، فتارة نجد الدولة تعضد الطبقة وتسعى لتقوية دورها فى المجتمع، واتضح ذلك فى ظهور هذه الجماعات الاستراتيجية (النخبة العسكرية فى عصر محمد على)، ونخبة رجال الأعمال فى الحقبة الناصرية، حينما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢، وحاولت النخبة المسيطرة من الطبقة الوسطى الدفاع عن الطبقة الوسطى حتى تصبح الاطار الذى يشكل عمل هذه النخبة، وفى الوقت نفسه تدافع هذه الطبقة عن توجهات النخبة السياسية وتدعمها وتحمى مصالحها، وتارة أخرى تلعب الطبقة دورها باعتبارها ظهيرًا للدولة فى تحقيق سياسات معينة تمثل انتماءات الدولة نفسها، ثم ما لبث هذه الطبقة، وأصبحت أداة الدولة فى تنفيذ أهدافها وتحقيق مصالحها.

د- مفهوم الريع كأحد المرتكزات للتحليل الطبقى:

الريوع عبارة عن ما يجنيه الملاك من تأجير ممتلكاتهم من أموال تزيد عن السعر التنافسى، أو عن السعر الذى يكفيهم لتغطية نفقاتهم على ملكياتهم، ومن ثم فإن هذه الأموال تزيد عما يكفى الملاك للوصول إلى استثمار هذه الممتلكات. قد يحصل المديرون التنفيذيون للمنظمات الكبيرة الحجم على فوائد أى مزايا تفوق كثيرًا ما هو مطلوب منهم التأمين لاستمرارهم فى وظائفهم؛ لأنهم قادرون على التحكم فى التدفقات النقدية التى

يعجز حملة الأسهم عن رصدها وملاحظاتها. أو قد يكون المعروض فى السوق من الأصول والممتلكات محدودًا؛ لأن وفرته تتوقف على وجود أصول ممتلكات أخرى لها صفات. تعتبر الريوع مزايا تمنع الفاعلين الآخرين من أن يحققوا العائد الكامل على ممتلكاتهم، وتمثل الريوع عنصرًا فى غاية الأهمية لظهور الطبقات الاستغلالية. الذين يستفيدون من الريوع لهم مصلحة فى حماية حقوقهم فى الممتلكات المنتجة للريوع، بينما يكون لمن هم ممنوعون من تحقيق العائد الكامل على ممتلكاتهم مصلحة فى القضاء على الريوع المذكورة. بناء على ذلك، تتسبب الريوع فى إيجاد المصالح المتعارضة ونشوب الصراع. **[(إريك أولن رايت، مرجع سابق، ٢٥٦-٢٥٧)]**

ويمكن ملاحظة أنه من الصعوبة الاستناد إلى التقسيم الطبقى وفقًا لمفهوم الريع؛ لأن ذلك يتطلب خريطة واضحة لطبيعة العمل والدخول والامتيازات المتاحة. وأهم المزايا للأفراد المنتمون إلى طبقات، كما أطلق عليها الطبقة المحظوظة التى فرضت الانغلاق الطبقى من أجل الحفاظ على أنفسهم.

وفى هذا الصدد أكد **مارشال** على نفس وجهة نظر **ريكاردو** فى تحليله لنظرية الريع، حيث أكد مارشال على إن الريوع تظهر للوجود بناء على المواهب والتى تتمثل فى العطايا، ووفقًا لريكاردو فالأفراد ذوو المواهب يحصلون على دخول أكبر من تلك التى يحصل عليها الأفرد العاديون. ومعنى ذلك: يسمى ريع المقدرة الشخصية أو ريع الموهبة. وهذا يتضح من نفس فكرة بورديو عن الأبعاد الرمزية ورأسمال الثقافى، كما ترتبط هذه الفكرة أيضًا بمعيار فرصة الحياة عند فيبر. فإن فرصة الحياة طبقًا لمفهوم الريع تخلق بدورها الاستغلال والهيمنة؛ كنتيجة لمحاولة الطبقة المسيطرة على فرص الحراك الاجتماعى وحرصها على الانغلاق الطبقى، وطبقًا لنظرية الحرمان النسبى فإن الطبقة التى ليس لديها مصدر للريع قد تكون أكثر تعرضًا للضغط؛ نظرًا لتعدد صور الحرمان وعدم قدرتها على التكيف من خلال إنتاج أو إعادة إنتاج مصدرًا للريع، فهى طبقة مفتقدة للريع ووقعت فى مصيدة الانغلاق الطبقى أو ما نسميه الحراك المقهور الذى لا يستند إلى التكافؤ، وتتجلى فيه صور اللامساواة.

هـ- ما بعد الطبقية:

ويتضح مما سبق تعدد المخططات الطبقية بعضها ركز على السلطة، والآخر على

السلطة والسيطرة، يليها من حاول الاعتماد على الملكية والتوظف، وهناك من ركز على فكرتى الإنعلاق الطبقى، والتشكل البنائى. والبعض الآخر حاول التحرر من أفكار ماركس. وفى ضوء ذلك قدم **جان باكولسكى** Jan Pakulski تحليلاً أطلق عليه ما بعد الطبقية، حاول خلاله الوقوف على فهم العلاقة بين ثلاثة مفاهيم اساسية وهى **(الملكية، العمل، العلاقات الاجتماعية)**. وذهب إلى أن جرسكى قد أساء التقدير عندما اعتمد على معيار دوركايم فى التحليل الطبقى يمكن التعامل معها على اساس أنها طبقات اجتماعية. ما أن الاعتماد على التفكير الماركسى والفيبرى غير كافٍ للتفسير.

كما يرى **كاستور ياردیس** أن الماركسية خطاب استقطاب طبقى، ويشير إلى ضرورة إجراء تحليل جديد لا يطور لتقسيمات الماركسية بل يقطع الصلة بها، ورصد أساليب فقدان التحليل الطبقى الماركسى لروحه بسبب تقسيمه للمجتمع إلى أفراد يديرون (المديرون) وأفراد عليهم الانصياع لقراراتهم (المنفذون). ومن ثم فهو يرجع صدى التحليل ما بعد الطبقى إلى التحليل الذى وضعه **جيمز بيرنام** ونشره فى كتابه (الثورة الإدارية). وكان كاستورياديس يرى أن مشكلة التحليل الطبقى هى الخلط ما بين المصالح الطبقية وبين التنظيم الذاتى، وهو ما يؤدى إلى نتائج فاجعة. كان **كاستورياردیس** يسبح عكس التيار، أى عكس الأقوال المأثورة التى يصر على أن الحداثة أكدت ضرورة زيادة تقسيم العمل، ومن ثم زيادة التبعية والتمييز بين الجهد المبذول والمكافأة عليها. ولم يعد للناس حاجة إلى الماركسية باعتبارها نظرية اقتصادية. فإن تحليلها للميول والاتجاهات الرئيسة للإنتاج الرأسمالى كانت مخطئة **[(سايمون تورمى ووجولز تاونزند،٢٠١٦: ٧١-٧٢)]**.

ثانياً: الخاتمة:

مع اختلاف السياق التاريخى لتناول موضوع الطبقة وتعدد المداخل النظرية للتحليل الطبقى، إلا أنه فى البحوث والدراسات العربية اتضح: عدم القدرة على الاستفادة من هذه المفاهيم والمداخل النظرية فى تطوير مفهوم للطبقة، وعلى الرغم من وجود العديد من المخططات الطبقية مثل مخطط جولدثورب الذى طور فيما بعد، على سبيل المثال تم الاستفادة منه فى دراسة صور عدم المساواة والاستغلال.

ولوحظ اهتمام مجمل هذه الأدبيات بأربعة موضوعات رئيسة عكست التطور

التاريخى الذى طرأ على نوعية البحوث ومجالات الاهتمام المتفرعة عن الاتجاه الماركسى والوظيفى والتوفيقى والخصوصية البنائية التاريخية وغيرها من الاتجاهات البارزة فى دراسة الطبقة. فقد ظهر فى البداية الاهتمام بموضوعين أساسيين هما: **أولهما:** البناء الطبقى وتقسيماته والجدل حول التقسيم الطبقى، **وثانيهما:** تأثير التحولات الاجتماعية والاقتصادية على البنية الطبقية، ثم تطور مجال الاهتمام بعد ذلك فانصب على موضوعين أساسيين هما: **أولهما:** علاقة الدولة بالطبقة الوُسْطى، **وثانيهما**: آليات الحراك الاجتماعى. وأخيرًا ظهرت كتابات عديدة تناولت أوضاع الطبقة الوُسْطى فى البلاد النامية والمتقدمة، ولكن تعول هذه الدراسات كثيرًا على المداخل الكلاسيكية.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

أ-الكتب العربية:

١-السيد عبد العاطى،(١٩٩٧)، **تاريخ الفكر الاجتماعى،** الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

٢-جميل هلال،(٢٠٠٦)، **الطبقة الوسطى الفلسطينية: بحث فى فوضى الهوية والمرجعية والثقافة،** ط١، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

٣-شحاته صيام،(٢٠٠٩)، **النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة،** ط١، القاهرة، مصر العربية للنشرو التوزيع.

٤-طاهر حسو الزيبارى،(٢٠١٦)، **النظرية السوسيولوجية المعاصرة،** ط١، الأردن، دار البيرونى.

٥-عبد الباسط عبد المعطى(١٩٨١)، **اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب.

٦- غريب سيد أحمد، (١٩٩٥)، **الطبقات الاجتماعية**، ط ١، الاسكندرية، دار المعرفة.

٧-محمود جاد،(١٩٩٣)، **دراسة الطبقات الاجتماعية فى مصر النشأة التاريخية والتيارات النظرية**، ط١، القاهرة، دار الثقافة الجديدة.

٨-مؤمن كمال الشافعى،(١٩٩٦)، **الدولة والطبقة الوسطى فى مصر: تحليل سوسيولوجى لدور الدولة فى إدارة الصراع الاجتماعى،** ط١، القاهرة، دار قباء.

ب-الكتب العربية المترجمة:

٩-إريك أولن رايت،(٢٠١٨)؛ ترجمة: خالد عبد الفتاح عبدالله، **مداخل التحليل**

الطبقى، ط١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

١٠-إريك دافيس، (٢٠٠٨)، ترجمة: حاتم عبد الهادى، **مذكرات دولة السياسة والتاريخ والهوية الجماعية فى العراق الحديث**، ط١، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١١-روزمارى كرومبتون،(٢٠١٦)، ترجمة: محمود عثمان حداد- غسان رملاوى، **الطبقات والتراصف الطبقى**، ط١، القاهرة، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات.

١٢-روث والاس،(٢٠١٠)؛ ترجمة: محمد عبد الكريم الحورانى، **النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع**- تمدد آفاق النظرية الكلاسيكية، الأردن، دار مجدلاوى.

١٣-سايمون تورمى وجولز تاونزند،(٢٠١٦)؛ ترجمة: محمد عنانى، **المفكرون الأساسيون من النظرية النقدية إلى ما بعد الماركسية**، القاهرة، المركز القومى للترجمة.

١٤-نيكوس بولانتزاس،(١٩٨٣)؛ ترجمة: عادل غنيم، **السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية**، ط٢، بيروت، دار ابن خلدون.

ج-الدوريات والرسائل العلمية:

١٥-مصطفى مرتضى،(٢٠٠٣)، **تحولات الطبقة الوسطى فى المجتمع المصرى: رؤية سوسيولوجية**، المجلد٣١، القاهرة، حوليات آداب عين شمس، ص ص ١٥١:١٩٩.

١٦-هالة مصطفى،(أكتوبر٢٠٠٤)، **ليس وداعًا للطبقة الوسطى**، السنة الرابعة، العدد١٦، القاهرة، مجلة الديمقراطية.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

17-Azad,Bahman,(2005):Marxism, Science and Class Struggle, the scientific Basic of the concept of the vanguard party of the proletariat, Nature, Society, and Tought, Vol.18, No.4, pp503-533.

18- Burris, Val,(1986): The Discovery of the New Middle Class, Theory and Society 153: 317- 349. Reprinted in A. J. Vidich, ed. , The New Middle Classes, pp. 15-54. London: Macmillan Press, 1995.

19-Davis,Kingsley and Moore,Wilbert,(1944): Some

Principles of Stratification, American Sociological Review, Vol.10, No.2, Annual Meeting, http://www.jstor.org/stable/2085643.

20-Gane,Nicholas,(2005): Max Weber as Social Theorist: Class,Status,Party, London, European journal of social Theory 8 (2): 211-226.

21- Mills,Wright,(1951): The American Middle Classes, New York, Oxford University Press.

22- Reinhard, Kreckel,(2006): On national and global "middle classes " , Paper prepared for the Indian-German Workshop, University of Munich, 7 - 8 September 2006, HOF Institut für Hochschulforschu ng W ittenberg, Universität Halle-Wittenberg (Institute for Higher Education Research), Revised version, date:.

23- Roemer,John, (1981) ;"New Directions in the Marxian Theory of Class and Exploitation", Politics & Society, 11:3, 1981 pp.253-287.

24-Ross, George, (1987): MARXISM AND THE NEW MIDDLE CLASSES: French Critiques, Vol.5 , NO.2, Theroy and Society, Springer, Brandies University, Department of Sociology. Pp.163-190.

25- Vidich,Arthur,(1995) : The New Middle Class Life-Styles, Status Claims and Political Orientations, London, MacMillan Press, ISBN 978-1-349-23771-5.

26-Grusky,David and Galescu,Gabriela, (September 2009): Foundations of a neo-Durkheimian Class Analysis, Cambridge University, press,https://doi.org/10.1017/CBO9780511488900.004, pp 1:27.

27- Grusky and Galescu, (2005): Is Durkheim a class analyst? , Edited by Alexander, Yale University, Connecticut, Cambridge University, https://doi.org/10.1017/ccol9780521806725.013

28-Kellner,Douglas, (2005): Western Marxism in Modern: Social theory, An introduction edited by Austin Harrington. Oxford, UK: Oxford University press, PP.154-174.

29-Kivinen, Markku, (1989): The New Middle Classes and the Labour Process, Acta Sociologica, Vol32, No 1,University of Lapland, Department of Social Science, PP 53-73.

30-Weber,Max,(1946): Class-status-and party, In Hans Gerth and C.Wright Mills, eds. From Max Weber, PP180-195, New York,Oxford University Press. Turner,Bryan.s., (1981): For Weber, London,Routledge Kegen Paul.

31-Wright,Erik Olin,(2015); Understanding Classes, London,Verso,

32-Wright, Erik Olin, (2008): Class, State, and Ideology: An Introduction to social science in the Marxist Tradition, Sociology 621, University of Wisconsim, Madison, Department of Sociolog.

33- Young, Linda, (2003): Middle Class Culture in the Ninteenth Century America Australia and Britain, https://www.amazon.co.uk/Middle-Class-Culture-Nineteenth-Century/dp/0333997468.

ثالثاً: المراجع الإلكترونية:

٣٤-عواد أحمد صالح،(٤/ ٧/ ٢٠٠٥)،**الماركسية النظرية الثورية لتحرير الطبقة العاملة أهميتها وضرورتها اليوم**، الحوار المتمدن، العدد١٢٤٨، تاريخ الإطلاع (٢٠/ ٥/ ٢٠١٩)، استرجعت من موقع http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=40498&r=0.